لا أعرف لماذا ارتبطت كل أحاديث المروءة بوسائل المواصلات وحوادث السيارات والرحلات..ربما لأن السفر تظهر فيه المعادن والنفوس أكثر مما تظهر في غيرها، أو يفقد فيه الإنسان بعض الراحة والمتاع ويبحث عمن يساعده ويعاونه؟!

لقد كان هناك شيء معروف مألوف وهو ما يسمى بأخلاق القرية، فهل يا ترى يبصر الريفيون شيئا منها اليوم؟ وكم أسفت على هذه الشهامة التي تبخرت في الهواء وصارت في قرانا هباءاً منثوراً ، حينما اقتحمت الحياة الحديثة بمظاهرها وبهرجها حياة مواطنيها الطيبين، وصارت موجة عتية من التقليد الأعمى الذي تعاظم على حساب كثير من المثل والقيم، ولكي يتعرف أجيالنا اليوم على حقيقة القرية الريفية المصرية بصورتها القديمة فلنتأمل ما صوره (القرضاوي) في مذكراته عن حقيقتها التي ما عاد منها اليوم إلا النذر القليل فيقول: (كان أهالي القرية مترابطين فيما بينهم، متضامنين في السراء والضراء، في الأفراح وفي الأحزان، ففي الأعراس والأفراح نراهم يساعد بعضهم بعضا عن طريق ما يسمى (النقوط) يدفعونه لأهل العروس، على أن يرد هؤلاء إليهم مثله أو خيرا منه عندما يزوج أحدهم ابنه أو ابنته، وفي الأحزان يراعي بعضهم مشاعر بعض، فإذا كان عندهم عرس أجلوه، وإذا اضطروا إلى تنجيزه في مدة قريبة، أقاموه بغير ضجة، حتى إنهم يمتنعون عن بعض الأكلات المعينة، يعتبرونها من أكلات الأفراح مثل الكسكسي والرقاق (البريك) ونحوها.

وإذا حدث حريق في أحد المنازل، بقضاء وقدر أو بفعل فاعل ، سارع أهل القرية إلى إطفائه بقوة وجدارة، وكثيرا ما يكون ذلك بعد منتصف الليل، فيهب الناس من نومهم، ويطيرون طيرا إلى موضع الخطر، يكادون يقتحمون النار ولا يبالون. وهذا مما عرف به أهل القرية من الهمة العالية والنجدة.)

نصرة المظلوم

ارفض الظلم مهما كانت الموانع، تبرأ منه، قاوم أصحابه..إياك أن تقبل أن يقع الظلم بأرض أنت فيها.. واس المظلومين، امض معهم في إنصافهم ممن ظلمهم، أثبت لهم حقوقهم، ليثبت الله قدميك يوم القيامة على الصراط.

يقول ﷺ: (من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه، ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزول الأقدام) الترغيب والترهيب

واحذر اللعنة ودروبها فقد قال ﷺ: (لا يقفن أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل ظلماً، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه).؟

وعن (جابر بن عبد الله) رضي الله عنهما قال: لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال: (ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟: قالوا بلى يا سول الله، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها.

فلما ارتفعت التفتت إليه وقالت: سوف تعلم يا غدر، إذا وضع الله الكرسي وجمع الله الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، سوف تعلم كيف

أمري وأمرك عنده غدا، قال: فقال رسول الله ﷺ: (صدقت كيف يقدس الله قوماً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟!)
ويقول ﷺ : (ما من امرئ يخذل امرءا مسلما في موطن تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرئ ينصر امرءا مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه من حرمته ، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته) رواه أحمد
ويقول ﷺ : (من أُذلّ عنده مؤمن فلم يَنْصُرْه وهو قادرٌ على أن ينصُرَه أذله الله عزّ وجلّ على رؤوس الخلائق يوم القيامة) رواه أحمد بسند حسن
وإذا كانت المروءة والنخوة من أخلاق العرب، فقد جاء الإسلام وجعلها ديناً واجباً ، وحذر من كل صور السلبية والتخاذل عن نصرة المسلم فقال ﷺ: (لا يقفن أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل ظلماً ، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه) رواه الطبراني
عن أبي بكر الصديق ﷺ قال : (يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية : يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)
وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) رواه أبو داود والترمذي .. وهناك اليوم وما أكثرهم من يستلزون بمشاهد الظلم وآلام المظلومين ، وبعضهم يكتفي بمصمصة شفتيه وتلويه عنقه ، وينسحب غير آبه لما رأى وشاهد، وما ذلت أمتنا واستأسد عليها عدوها إلا حينما فقدت هذه المشاعر وفرطت في أخلاقها..
وديننا عبر تاريخه هو دين المروءة والنجدة ونصرة الضعيف والمظلوم، فهذا يهودي قذر يحتال لكشف عورة امرأة مسلمة في سوق بني قينقاع ،ومع صراخها هب إليها صحابي كريم لم يجد جزاء لليهودي إلا قتله ، ولكن أهل الخسة من اليهود التفوا حوله وقتلوه ..وتسبب صنيعهم في اقتلاع شوكتهم من المدينة.
وهذا (المعتصم) تنادي عليه أسيرة مسلمة في أرض الروم ، فيخف لنجدتها ..ويجهز من أجلها زحفاً عظيما يسد عنان السماء غبار خيله ،لدفع الأذى عنها وتأديب معتقليها..[1]
ولما تولى (أبو يوسف يعقوب بن يوسف) خلافة الموحدين بعد استشهاد أبيه مجاهداً ضد النصارى في الأندلس، وذلك في جمادى الأولى سنة ٥٨٠هـ وصلته رسالة من المسلمين الذين هجم عليهم (ألفونسو السادس) ملك قشتالة ودمر بيوتهم وقتل الرجال وسبى النساء حتى كتب (ألفونسو السادس) خطاباً يدعوه فيه إلى القتال سخرية واستهانة بالمسلمين، فلما قرأ أبو يوسف الخطاب كتب على ظهر رقعة منه: (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) الجواب ما ترى لا ما تسمع، وخرج بجيشه واتجه إلى بلاد الأندلس والتقى بجيش الفرنجة في موقعة، الأرك في ٩ شعبان ٥٩١ه وانتهى يوم (الأرك) بهزيمة النصارى على نحو مروع، وسقط منهم ثلاثون ألف قتيل، وبلغ أسراهم عشرين ألفاً، وغنم المسلمون

---

[1] قيل في قصتي الحجاج والمعتصم مع المرأة المستصرخة أنها موضوعة ولا أساس لها ، وضعت من أجل التزويق الذي كان يتقنه بعض أتباع الأمراء والقواد.

معسكر الأسبان بجميع ما فيه من المتاع والمال، واقتحموا عقب المعركة حصن الأرك، وقلعة رباح المنيعتين.
يقول الله تعالى: (وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله والمستضعفين) أي أن القتال يكون في سبيل الله وأيضا في خلاص المستضعفين المضطهدين، إن الآية تحفز همة المقاتل المسلم أن يغيث المنكوبين ويخلصهم من ظلم الطغاة المتجبرين، ويسارع في رفع العذاب عنهم .
ويعلق الشيخ الشعراوي في خواطره بقوله:
(بل إننا نقاتل ولو من باب الإنسانية لأجل الناس المستضعفين في سبيل تخليصهم من العذاب؛ لأنهم ما داموا صابرين على الإيمان مع هذا العذاب، فهذا دليل على قوة الإيمان، وهم أولى أن ندافع عنهم ونخلصهم من العذاب.
ويعطينا سبحانه ذلك في أسلوب تعجب: (وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِوَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ) فكأن منطق العقل والعاطفة والدين يحكم أن نقاتل، وقصة هؤلاء تحكي عن أناس من المؤمنين كانوا بمكة وليست لهم عصبية تمكنهم من الهجرة بعد أن هاجر رسول الله ﷺ، فهم ممنوعون من أن يهاجروا، وظلوا على دينهم، فصاروا مستضعفين: رجالاً ونساءً وولداناً، فالاضطهاد الذي أصابهم اضطهاد شرس لم يرحم حتى الولدان..هذه الجماعة من المستضعفين منهم (سلمة بن هشام) لم يستطع الهجرة، ومنهم (الوليد بن الوليد) و (عياش بن أبي ربيعة) ، و (أبو جندل بن سهيل بن عمرو)، وسيدنا ابن عباس ﷺ قال: لقد كنت أنا وأمي من هؤلاء المستضعفين من النساء والولدان، وكانوا يضيقون علينا فلا نقدر أن نخرج، فمثل هؤلاء كان يجب نصرتهم، لذلك يحنن الله عليهم قلوب إخوانهم المؤمنين ويهيج الحمية فيهم ليقاتلوا في سبيلهم؛ فظلم الكافرين لهم شرس لا يفرق بين الرجال والنساء والولدان في العذاب.)
وإذا كان بذل النفس وإزهاق الروح في سبيل تخليص المعذبين المستضعفين على هذا النحو.. أفلا يكون بذل المال من أجلهم آكد وأوجب ؟! وهو ما نوه إليه علماؤنا حيث قالوا: (أوجب الله سبحانه في هذه الآية القتال ؛ لاستنقاذ الأسرى من يد العدو مع ما في القتال من تلف النفس ، فكان بذل المال في فدائهم أوجب ، لكونه دون النفس وأهون منها وقد روى الأئمة أن النبيﷺ قال : (أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني) .
إن نصرة المظلوم خُلق عظيم ..ما استشرى في أمة، إلا كان صمام الأمان لمجتمعها من عوامل الزوال والضمور، وكان حافظاً لها من الضعف والضياع والانحراف، فهو عين العدل وذروة الإنصاف..يُقيمه الأفراد كما تقيمه المؤسسات ، خالصاً لوجه الله سبحانه بعيداً عن التعصب لحزب أو طائفة أو رغبة في الشرف والجاه..
وها هي الجاهلية تتعالى على بعض المجتمعات التي تنتسب للحضارة ، حينما يخرج من أعماقها (حلف الفضول) ذلك الحلف الذي قام لنصرة المظلوم وأخذ حقه من الظالم..أرأيت ..فهذه هي الجاهلية التي نصورها بالغباء، استقامت حينما لبت نداء الفطرة السوية.!
ففي يوم من الأيام كما جاء في الروض الأنف : استيقظت مكة على صوت هذا الصارخ بجوار الكعبة وهو يقول بأعلى صوته:

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ** بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمُحْرِمٍ أَشْعَثٍ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ ** يَا لَلرِّجَالِ وَبَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحَجَرِ
إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ مَاتَتْ كَرَامَتُهُ ** وَلاَ حَرَامَ لِثَوْبِ الفَاجِرِ الغُدَرِ

فقام إليه الناس يتبينون خبره، فكان تاجراً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه (العاص بن وائل) ، ومنعه حقه ، فاستعدى عليه أشراف قريش فلم يعينوه لمكانة العاص فيهم، فما كان منه إلا أن هرول بجوار البيت يصرخ بأعلى صوته ويستغيث بالناس يطلب نصرتهم..

فقام إليه (الزبير بن عبد المطلب) فقال : ما لهذا متروك، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وبنو تيم بن مرة في دار عبدالله ابن جدعان، وصنع لهم طعاماً وتحالفوا في شهر حرام هو ذو القعدة فتعاقدوا وتحالفوا بالله ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يرد إليه حقه)

حق للعروبة أن تتباهى بذلك اليوم الذي أقيم فيه حلف الفضول ، وتجعل منه عيداً لها ، كما كان العرب قديما يتباهون به ويتفاخرون ..فهذا الزبير بن عبد المطلب يقول :

إِنَّ الفُضُولَ تَعَاقَدُوا وَتَحَالَفُوا ** أَلاَّ يُقِيمَ بِبَطْنِ مَكَّةَ ظَالِمُ
أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاقَدُوا وَتَوَاثَقُوا ** فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرُّ فِيهِمْ سَالِمُ

بل إن قريشا كلها أدركت عظم الأمر فسمت هذا الحلف بحلف الفضول ، قال ابن كثير في البداية والنهاية: (فسمَّت قريشٌ ذلك الحلف حلفَ الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضلٍ من الأمر)

ولك أن تتصور كيف كانت هذه الوثيقة من أهم الذكريات التي كانت تطل على خاطر رسولنا الكريم ﷺ من تاريخه قبل البعثة ، وكانت نفسه تمتليء منها غبطة وإكباراً كلما تذكر أنه كان أحد الشهود على توقيع هذه الوثيقة الشجاعة والمشاركين فيها..فلقد قال ﷺ :

(لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الإِسْلاَمِ لأَجَبْتُ) سنن البيهقي

وقال : (شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلاَمٌ فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ) السلسلة الصحيحة

يقول الغضبان (كان حلف الفضول واحة في ظلام الجاهلية، وفيه دلالة بينة على أن شيوع الفساد في نظام أو مجتمع لا يعني خلوه من أي فضيلة، فمكة مجتمع جاهلي هيمنت عليه عبادة الأوثان والمظالم والأخلاق الذميمة كالظلم والزنا والربا، ومع هذا كان فيه رجال أصحاب نخوة ومروءة يكرهون الظلم ولا يقرونه، وفي هذا درس عظيم للدعاة في مجتمعاتهم التي لا تحكِّم الإسلام، أو تحارب الإسلام.) [٤]

وكان رجل له دين على أبي جهل، وقد جاء يتقاضاه إياه وأبو جهل يمتنع، وحين مر على مجالس القوم بالبيت قال لهم: ألا رجل أستعين به على أبى جهل ليدفع لي حقي، فقالوا له: عليك بهذا الرجل، وأشاروا إلى النبي ﷺ وهم لا يقصدون إلا السخرية به، فذهب الرجل إلى النبي ﷺ وقال له:

---

[٤] انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان ص١١٠.

أريد أن أستعين بك على أبى جهل ليدفع لي ما عليه من المال، وقد أجابه النبي إلى ذلك وذهب معه إلى أبى جهل، وما هو إلا أن طرق عليه بابه، حتى خرج له أبو جهل، فقال له ﷺ: أد لهذا الرجل حقه الذي لديك، فقال له أبو جهل: نعم أؤديه له حالاً، ثم دخل إلى بيته وخرج بالدين الذي عليه، وكانوا قد بعثوا رجلاً منهم ليتابع هذه الحادثة ليرى هل يستجيب أبو جهل للرجل صاحب الدين أم لا، وكيف يتلقى رسول الله ﷺ وهو يطرق بابه فلما عاد إليهم الرجل وأخبرهم أن النبي ﷺ هو الذي طرق الباب؛ وهو الذي تولى مطالبة أبى جهل عن الرجل هالهم ذلك، فلما التقى بهم أبو جهل سألوه:

كيف تلقيت محمداً بهذا الأدب، ونزلت على إرادته بهذه السهولة، فقال لهم: لقد رأيت فوق رأسه فحلاً من الإبل يريد ابتلاعي، فلم يكن مني إلا الإسراع بدفع ما علي حتى لا يبتلعني هذا الفحل)[٥]

هذه رجولته ﷺ ومروءته في نصرة الضعيف، والوقوف بجواره وقضاء حاجته، ومجابهة الظالم من أجله.. مهما كانت العواقب والنتائج..! لم يتملص النبي من صاحب الحق .. بحجة أن بينه وبين الظالم سجال من العداء والخلاف، أو يرسله إلى غيره ليطالب الظالم بالحق..لم يفعل شيئاً من هذا، لأن محمداً ﷺ سيد الفضيلة، وفارس المروءة.. وليعلم أمته المسارعة في قضاء الحاجات، وغض الطرف مما يحول دون قضائها.

إن النخوة والشهامة والمروءة ونجدة المظلوم صفات أصيلة في طبائعالعرب ..لقد كانوا خليقين بأن يظهر فيهم هذا الدين الذي يقدس العدل والإنصاف فيكنوا أهله ودعاته وحملة مشاعله للعالمين ، ورغم الشرك وعبادة الأصنام ورذائل الأخلاق وأفعال الجاهلية المنكرة.. فقد كانت فيهم بعض الفضائل التي حمدها الإسلام وأقرها واستبقاهم عليها ..ففي الوقت الذي كان الفارسي يستبيح أن يطأ أمه وابنته، كان العربي يجود بنفسه دفاعاً عن عرض جارته أو زوجة من أجاره، قال شاعر الجاهلية عنترة:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي ** حتى يواري جارتي مأواها

وقيل:

(كان من العرب من يسلب وينهب لكنهم في ذات الوقت كانوا يكرهون الكذب والخيانة ويعفون عن الغدر والخسة والطعن في الظهر ، لقد كانت الأمم تقهر أتباعها ورعاياها ، أما العربي فعاش حراً طليقاً أنفاً كالجواد البري الذي اعتاد الحرية ولم يعتد أن يرُكب ظهره!)

وحينما هاجر رسول الله ﷺ وأصحابه ، خلفوا وراءهم النساء والأطفال والشيوخ وقلوبهم مطمئنة لسلامتهم من الأذى أو العدوان، وقد كان من السهل أن تستعملهم قريش كوسيلة ضغط على المسلمين أو أن تقتلهم حتى تفجع قلوبهم ، ولكن العربي ليس من عادته أن يسيء إلى هذه الأصناف.!

---

[٥] الرسول ﷺ حياته ونشأته د/ على أبو الخشب.

ويلطم الطاغية أبو جهل ذات النطاقين، فيطير قرطها من أذنيها فيتلفت حوله ويقول لأصحابه: لا يتكلمن أحدكم بما رأى حتى لا تتحدث العرب أن عمرو بن هشام قد صفع امرأة.!

ويأتي قانون الإجارة الذي لم يكن ليقل عن حلف الفضول في مكرمته وفخاره، فقد كان يبسط المجير حمايته على المستجير ، ويمنعه وينصره ويدافع عنه ويحميه ممن يريد إيذاءه أو تهديده ما بقي في هذا الجوار.

وهو الذي أفاد منه رسولنا الكريم ﷺ وصحابته الكرام في أوقات المحن وزمن الاضطهاد فقد دخل في جوار (المطعم بن عدي) بعد عودته من رحلة الطائف التي لقي من إيذاء سفهائهاوصبيانها ما أسعد أعداءه وشمتهم فيه، وانتظروا لحظة رجوعه حتى يسخروا منه ، فإذا بالمطعم بن عدي يحيطه بصفين من أبنائه المدججين بالسلاح ، وهم على شركهم ويتحرك رسول الله ﷺ حيث شاء وهو في حراستهم وحمايتهم ، فلا يفكر أحدهم أن يتطاول عليه أو يمسه بسوء.

ودخل (عثمان بن مظعون) كذلك في جوار (الوليد بن المغيرة)، فظل في عافية وسلامة ، ثم أبت عليه شهامته أن يستمر على هذا الحال ، وإخوانه المسلمين يلاقون صنوف الإيذاء والبلاء؛ فرد على الوليد جواره علانية في المسجد، ثم وقف على أحد الشعراء، فلما سمعه يقول:

وكل نعيم لا محالة زائل فقال له: كذبت نعيم الجنة لا يزول...وعندها هجم عليه أحد الحمقى وضربه على عينه فخضرها ، فقال له الوليد لمارأى ما أصابه: إن كانت عينك لغنية عما أصابها، فيرد عثمان رضي الله عنه في جلد وشموخ: بل إن عيني الصحيحة لفقيرة لما أصاب أختها في سبيل الله.!

أما الصحيفة الجائرة فما خبر رهطها ببعيد، فقد كانوا خمسة من الأحرار أبوا على أنفسهم وأبت عليهم مروءتهم أن يُظلم هذا الشعب من قريش يلقى الضيم والقطيعة ويوشك على الهلاك والضياع فتحركوا يستحثون همم الناس ويوقظون في ضمائرهم نخوة العرب ويقولون :

أيهلك هذا الحي من قريش بين أظهرنا..كيف يطيب لنا طعام أو شراب وهؤلاء يموتون جوعاً وعطشاً ؟!..ولم يزالوا على هذا الرفض حتى التف حولهم من رأى رأيهم ومزقوا صحيفة الظلم، بعد ثلاث سنوات من القطيعة والحرمان أشرف معها المسلمون على الهلاك المحقق.

أحسن إلى أعدائك !

أن تحسن إلى من ظلمك أو جهل عليك ، فهو عمل لا يحسنه إلا الرائعون من البشر، الذين تألقت في نفوسهم جذوة الفضيلة وحب الإنسان، وجعلوا من الإحسان منهجهم في الحياة يواجهون به المحسن والمسيء ! وفي حياة الأدباء يبرز الدكتور (طه حسين) مرة أخرى على ما سلف من خبره، ليكون واحداً من هؤلاء المحسنين الكبار الذين كانوا يعشقون مساعدة الناس في حوائجهم، وفك ضيقهم، وتخليصهم من نوائبهم ومشكلاتهم ، مهما قابل كما ذكرنا من صور الجحود والنكران.

وكان من صور إحسانه إلى أصدقائه ومواقفه الطيبة معهم ، ما رواه هو بنفسه لتلميذه الدكتور (محمد الدسوقي) حيث قال : (لقد كنت أحب المازني وأقدره كل التقدير،

ولما مات لم يكن له معاش، لأنه ليس موظفاً حكومياً، ولكني وأنا وزير للمعارف طلبت من مجلس الوزراء –وكانت هذه أول مرة في تاريخ المجلس – أن يقرر لورثة الأستاذ المازني معاشاً واستطعت أن أحمل المجلس على أن يكون هذا المعاش ثلاثين جنيهاً شهرياً ، ولو استطعت أن يكون أكثر لفعلت، ولكن المازني لم يكن موظفاً ، وتقرير معاش لإنسان غير موظف فيه عسر ، ولولا ما بذلته من جهد لاتجه المجلس إلى عدم تقرير معاش لورثة المازني رحمه الله..

وكان الجميع يعلم ما بين الأديب الكبير (مصطفي صادق الرافعي) والدكتور (طه حسين) من العداء الشديد والمعارك الطاحنة، التي كان الرافعي يكيل فيها لطه حسين حمماً من الإهانة والتعريض، في مقالات نارية سجلها في كتابه (تحت راية القرآن) فترى فيها ما يدهش الألباب من هجوم عنيف وقصفٍ حاد، وكان منها وأشدها الرمي بالإلحاد..وها أنا أسوق لك طرفاً منها ، حتى تستطيع أن تقيم هذه النفس الكبيرة حينما تقدم الخير لمن أهانها، يقول الرافعي يهاجم طه حسين:

(على أن أستاذ الجامعة إنما يقلد الهدامين من جبابرة العقول في أوروبا ، وإنه منهم، ولكن كما تكون هذه الكرة الجغرافية المدرسية التي تصور عليها القارات الخمس من كرة الأرض التي تحمل القارات الخمس ولأيسر عليه أن يملك أوروبا أو أمريكا من أن يملك عقلاً كتلك العقول التي يحاول مثل عملها في غير هندستها ولا حكمتها ولا سموها ولا معانيها ؛ وظنك أنت قد غرست في جناح غراب ريشة من الطاووس لتكون زرعا ينبت الريش من مثله فينقلب الغراب من ذلك يوماً يزدهي ويتخايل ويبرق ويرف بألوانه وتحاسينه ، فإنه لينقلب طاووسا قبل أن تعد طه حسين عبقريا فيلسوفا..! فالرجل متخلف الذهن تستعجم عليه الأساليب الدقيقة ومعانيها ، وأكبر ما معه أنه يتحذلق ويتباهى ويتشبه بالمفكرين ولكن في ثوب الرواية !)

و يقول : (ولقد كان من أشدِّهم عُرامًا وشراسةً وحمقًا هذا الدكتور (طه حسين) أستاذ الآداب العربية في الجامعة المصرية، فكانت دروسُه الأولى في الشعر الجاهلي، كفرًا بالله وسخريةً بالناس، فكذَّب الأديان، وسفَّه التواريخ، وكثُر غلطه وجهله، فلم تكن في الطبيعة تَوَّة تُعِينه على حمل كل ذلك والقيام به إلا المكابرة واللَّجاجة؛ فمرَّ يَهْذِي في دروسه، ولا هو يُثبِت الحقيقة الخيالية ولا يترك الحقيقة الثابتة، وأراد أن يسلبَ أهل العلم ما يعلمونه كما يسلبك اللص ما تملك بالجرأة لا بالحق، وبالحيلة لا بالإقناع، وعن غفلةٍ لا عن بيّنة.)

هذا بعض ما قاله في كتاب (تحت راية القرآن)، ولك أن تتعجب فهل بعد هذا العراك، يمكن أن يكون هناك مساحة من ود تثير عاطفة بين الطرفين، لا شك أن الدكتور طه لا يطيق حتى مجرد ذكر اسم الرافعي ، لأنه أكثر من تجرأ عليه، وكَاَل له في الخصومة ونكل به أشد تنكيل وأقصى إهانة..ولكن (طه) كان يبتسم ولا يغضب، بل حدث ما هو أروع وأعجب ، مما يدلل على سمو الرجل وسماحة نفسه...فحينما انتقل الرافعي لرحمة الله، كان طه وقتها عميداً لكلية الآداب، وكانت إحدى بنات الرافعي طالبة بهذه الكلية، وعجزت عن دفع المصروفات ، فعرف طه حسين ذلك، وطلب من اللجنة المختصة أن تمنح بنت الرافعي المجانية ، وأنه على

استعداد لدفع المصروفات من جيبه الخاص.! فعل هذا رغم شراسة أبيها وعدوانه عليه.!

لقد علمنا القرآن أن نحسن إلى من أساؤوا إلينا وأخطأوا في حقنا ..وهو الإعلام الهام بأن حق الإنسانية خارج حساباتنا الشخصية ، ومهما أخطأ الفقير أو المسكين فإن له حقا في مالنا ونصيبا من إحساننا..كان (مسطح بن أثاثة) ممن تكلم في الإفك، وفي حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فلما أنزل الله براءتها ، قال أبو بكر الصديق: (وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره- والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال.. فأنزل الله: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ)(النور: ٢٢) إلى قوله : (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال أبو بكر الصديق: (بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبدًا.)[١]

ينتابني شعور قوي بعظمة الإسلام وسمو شريعته ، كلما طالعت أنباء الأمم وسلوك الحضارات الحديثة، في معاملة الإنسان..بل يتأكد لدي كل حين.. أن الإسلام هو الدين الأمثل في احترامه للبشر وتقديره للإنسان وحقه في الحياة.. لقد كفل له الحرية، وضمن له السلامة، ووفر له عناصر الرحمة والعدل والمساواة..لقد جاء الإسلام في وقت كانت البشرية في حاجة ماسة لهذا الدين، الذي يلاقي اليوم عنتاً ونكراناً من أبنائه ، ويواجه حرباً وكيداً من أعدائه، وحملة عالمية مضللة، تصمه بالإرهاب والدموية، ومجافاته للرقي والحضارة، يديرها اليهود وعتاة الصليبية العالمية..انظر لدعاة الإفك والزور ماذا يفعلون؟ وهم الذين يشقشقون الآذان والأدمغة بحقوق الإنسان، في الوقت الذي يحفل سجلهم القديم والحديث بالخذي والمهانة، وصفحاته السوداء يكللها العار والشنار، وحوادث مؤلمة تئن الإنسانية من ذكرها كلما عبرت بالخاطر والخيال.

لقد صاغوا اتفاقية جنيف لحقوق الإنسان لأول مرة عام ١٨٦٤م وعدلت أربع مرات آخرها عام ١٩٤٩م، صنعوها وهم أكثر من تجاوزها وانتهك مبادئها.. ففي أرض العراق المكلوم، شهدت الإنسانية أبشع الجرائم التي ارتكبتها الوحوش البشرية ، ذبحوا الرجال، وقتلوا الشيوخ والأطفال، واغتصبوا النساء، وتسلوا بقتل الأسرى المقيدين، وعرف العالم كله فضائحهم في أبي غريب وجوانتانموا..وحشية مفرطة لم يشابههم فيها إلا الهمج المغول..أذلوا البلاد والعباد، وأوجدوا الفتن والفساد ونهبوا الثروات والخيرات، ودهسوا مستقبل شعوبنا بأحذيتهم الغليظة، ثم يتشدقون بلا حياء عن حقوق الإنسان.!

وفي إسرائيل الفاجرة، التي يقف العالم الغربي من ورائها.. يدعمها ويؤازرها، في حين تكشف (منظمة التضامن الدولي الإنسانية) في تقريرها :أن الأسرى الفلسطينيين في سجونها، يتم استخدامهم كعينات مخبرية حية لتجريب الأدوية الجديدة المنتجة ، وقياس تأثيراتها على الوظائف الحيوية لأجسامهم، وهو ما استنكرته عدة منظمات طبية ومؤسسات صحية وإنسانية منذ سنوات، فأطلقت نداءها الإنساني لوقف المهزلة ضد الأسير الفلسطيني..

---

[١] رواه البخاري

وداخل أروقة الكنيست قدمت إحدى عضواته (داليا ايزك) رئيسة لجنة العلوم البرلمانية الإسرائيلية سابقاً، وفي جلسة أمام أعضائه، ملفات تبين أن هناك ألف تجربة لأدوية خطيرة تحت غطاء الاختبار الطبي تنفذ سنوياً بحق الأسرى الفلسطينيين والعرب داخل السجون الإسرائيلية، بهدف قياس فعالية تلك تتم هذه التجارب بسرية تامة، تحسباً لعدم إيقاع سلطات الاحتلال في حرج أمام العالم، لأنها جرائم أخلاقية تتعلق مباشرة بانتهاك حقوق الإنسان والاعتداء المباشر على حياة الأسرى.

أما نحن ..فكيف عاملنا الأسرى وأوجدنا لهم حقوقاً؟

دفعني هذا الغلو في إذلال الإنسان، وهدر قيمة البشر، لتأمل بعض ما جاء في سجل ديننا الناصع في معاملة الأسرى، وما أوجد لهم من الحقوق والواجبات ، قبل أن تصاغ اتفاقية جنيف بأربعة عشر قرنًا من الزمان بشأن معاملة الأسرى..تقول الاتفاقية : (يجب معاملة الأسرى معاملة إنسانيَّة في جميع الأوقات...وعلى الأخصِّ ضدَّ جميع أعمال العنف أو التهديد، ولهم الحقُّ في احترام أشخاصهم وشرفهم في جميع الأحوال، ويحتفظون بكامل أهليَّتهم المدنيَّة التي كانت لهم عند وقوع الأسر، ويجب أن تعامل النساء الأسيرات بكلِّ الاعتبار الواجب لجنسهنَّ)

وهذا ما جاء به الإسلام فقد حرص على الإحسان إليهم في أول وأروع نموذج للرحمة عرفه العالم القديم.. لقد وضع الإسلام تشريعات للأسرى، في الوقت الذي كان يُنَكَّل بهم ويساقون للمقصلة، فقد وردت نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، تحثُّ على معاملة الأسير معاملة حسنة تليق به كإنسان. يقول الله تعالى في سورة الأنفال:

(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(الأنفال :٧٠)

كما قرَّر الإسلام بسماحته أنه يجب على المسلمين إطعام الأسير وعدم تجويعه، وأن يكون الطعام مماثلاً في الجودة والكَمِّيَّة لطعام المسلمين، أو أفضل منه إذا كان ذلك ممكنًا.. تنفيذاً لأمر الله تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الإنسان : ٨)

وقرر له كسوة بالصيف، وأخرى بالشتاء، وقد عنون الإمام (البخاري) بابًا كاملاً أسماه (باب الكسوة للأسارى)..وأوصى النبي ﷺ أصحابه بحُسن معاملة الأسرى فقال: (اسْتَوْصُوا بِالأَسْرَى خَيْرًا)[١]

كما نهى النبي ﷺ، عن تعذيبهم وامتهانهم، حيث رأى ﷺ أسرى اليهود من (بني قُرَيْظة) موقوفين في العراء، في ظهيرة يوم قائظ، فقال مخاطبًا المسلمين المكلَّفين بحراستهم: (لاَ تَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ وَحَرَّ السّلاَحِ، وَقَيِّلُوهُمْ وَاسْقُوهُمْ حَتَّى يَبْرُدُوا)[٢]

وامتثل الصحابة لقول النبي ﷺ فكانوا يحسنون إلى أسراهم في كل غزوة، و ها هو أحدهم يحدثنا عن عظيم امتثال الصحابة بأمره ووصيته وتوجيهه ، يقول (أبو عزيز

---

[١] الطبراني: المعجم الكبير، (٩٧٧)، والمعجم الصغير، (٤٠٩)، وقال الهيثمي: إسناده حسن، انظر: مجمع الزوائد، (١٠٠٠٧).
[٢] الشيباني: السير الكبير، ٥٩١/٢.

بن عمير) وهو أحد الأسرى: (كنت في نفر من الأنصار وقد قدموا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ بنا، فما تقع في يد أحد منهم خبزة إلا نفحني بها فأستحي فأردها على أحدهم فردوها عليّ ما يمسُّها) فسبحان الله ما أطوع أصحاب رسول الله له ﷺ !!

وكان من بين الأسرى خطيب من خطباء المشركين يحرض الناس عليه ويتكلم فيه بسوء وهو (سهيل بن عمرو) فأشار عليه أحد الصحابة أن ينزع ثنيتيه (أسنانه الأمامية) لئلا يخطب فيه بعد اليوم فما كان منه ﷺ وهو الرحيم الرقيق إلا أن أبى أن يمثل به ، ورجى الله أن يهيئ لسهيل الهداية، وأن يقوم مقاماً يدافع فيه عن الإسلام، إنه تماماً نفس القلب الذي أبى عرض ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين، فلا يكتفي بالعفو بل يرجو لهم النجاة والخير.

وكان الفاتح المسلم حينما كان يدخل بلداً قهر جيشها بالسيف، لم يكن يدخلها مزهواً متكبراً يعتريه الصلف والغرور ، منتشياً بالنصر والغلب، وإنما كان يدخلها والتواضع يغمره، والخشوع لله يكسو جبينه، وأهل البلد المهزوم لا يفرون أو يضطربون، وإنما يفتحون نوافذهم ليشاهدوا الغزاة الجدد، يمرون في شوارعهم ذاكرين مهللين، في مشهد عجيب لم يألفوا مثله من قبل.. يمرون أمامهم وكأنهم عابرون سائحون، لا فاتحون مستعمرون ، وهكذا كان سلفنا..الذين لم يحفظ التاريخ أبداً أن عاملوا أهل بلدة مفتوحة بوحشية أو انتهكوا حرمةً أو داسوا كرامة أو تشفوا من عدو منتقمين.

وحينما أُسر المسلمون سبعين رجلا من قريش في غزوة بدر قال لهم النبي ﷺ : (استوصوا بالأسارى خيراً) وهي وصية عجيبة حينما تعلم أنها في حق من ناصبوه العداء طويلاً ، وأخرجوه من أحب البلاد إليه، وآذوا أصحابه وأتباعه وأرادوا القضاء على دينه ودعوته.!

وفي فتح مكة وحينما وقعوا في قبضته ، كان رد فعله آية الزمان وحديث الأنام ، لقد قابل هؤلاء الذين حاربوه وطردوه وعذبوا أصحابه وصادروا أموالهم واستولوا على دورهم، وسَبُّوه وشتموه ووضعوا الأذى على ظهره وهو يصلي، ونثروا التراب على رأسه والشوك في طريقه، وحاصروه في الشعب، قابلهم بكل عفو وتسامح لم تسمع به الدنيا من قبل، لقد دخل عليهم مدججا بالسلاح، ولكنه رغم هذه المظاهر الحربية العنيفة أعلن عفوه العام، وكان أنموذجاً للرحمة حينما سأل أهل مكة: (ما ترون أني فاعلٌ بكم؟). فأجابوه: أخٌ كريم، وابن أخ كريم. فقال : (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[1]

سموم المنصرين

لا تحسبن هذه الاعمال الإنسانية الهائلة التي يقدمها المنصرون بسخاء في كثير من البلدان الفقيرة القاحلة ترجع إلى حبهم للبشر وإحساسهم بمأساة الفقراء والضعفاء ، أو تحركها رغبتهم الاكيدة في إنقاذ المعذبين والضائعين والمشردين ..!

إنهم يرفعون شعار (العلاج بيد .. والإنجيل باليد الأخرى)فليس ما يقدمونه نابعا من ايمانهم بالإنسان .. وإنما لهم مآربهم التي يطمحون إليها، وإذا لم يستجب لهم هذا الضعيف المسكين فينسلخ من عقيدته ودينه كما يريدون وتشتهي أغراضهم.. فليمت

---

[1] ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٠٠/٤)

إن شاء جوعاً أو مرضاً أو فقراً ، لقد انتشروا به في أرجاء العالم يخلعون الناس من دينهم وعقيدتهم، ويستغلون فقرهم وجهلهم وما يحل بهم من أزمات كوارث.. يبنون المدارس والمستشفيات والملاجئ والمراكز والجامعات، ويصدِّرون الصحف، وينشئون المحطات الإذاعية والتلفزيونية، ويقدمون التنصير ثمناً للغذاء والدواء والكساء والتعليم.

بدأ التنصير مسيرته مع الاستعمار، فكان الثاني مسلطاً على الجسد، والأول مسلطاً على الروح..الاستعمار يحتل الأرض ويستغل الموارد وينهب الثروات ، والتنصير يبدل دين الناس ويبدد هويتهموقيمهم.

كانوا بمثابة طابوراً خامساً يخدم المستعمرين ولا ينفصل عن سياستهم فيجمعون لهم أخبار الشعوب وأحوالها ويتحسسون مواطنيها وحكوماتها وأحيانا أخرى يسوقهم الاستعمار ككبش فداء وذريعة لاحتلال الدولة التي أرسلوهم إليها ،فحينما يريد رجل إنجليزي سوقاً جديداً لبضاعته الفاسدة التي صنعها في مانشستر، فإنه يرسل مبشراً؛ لتعليم الأهالي بشارة السلام،ويقتل الأهالي المبشر، فيهب الإنجليزي لحمل السلاح دفاعاً عن المسيحية، ويحارب من أجلها، ثم يستولي على السوق كمكافأة من السماءعلى ما أشار (كينيث كاوندا).

وبعد أن كشف الاستعمار عن وجهه القبيح في تدمير الشعوب واستعبادها ونهب ثرواتها وإزهاق الأرواح ، واستباحة الأعراض، وتأليب طوائفها بعضهم على بعض، بات المنصرون في وضع سيء ، وفشلت أغلب حملاتهم ، لأن هذه الشعوب المستضعفة تنظر إليهم على أنهم خلفاء المستعمرين القساة الأوغاد الذين أذاقوهم المرار والآلام .

وإذا كنا بصدد الحديث عن الجانب الاجتماعي وأثره في الدعوة ..فلنعلم أنه يغاير ويباين أسلوب المنصرين، فالاسلام يعطي المسلم والكافر ويبسط يده بالإحسان لكل الملل ، أما هؤلاء فلا يعطون إلا من يرجون استجابته فإذا ظهر لهم تمنعه ..قطعوا عنه نعمهم..

إنهم نشيطون مجدون،ولديهم همة جسورة في عملهملايسيطر عليها الكسل أو ينتابها الاسترخاء والفتور، فتراهم في كل درب يهيمون وبكل واد ينشطون.. لا يضيعون فرصة، ولا يفلت منهم مغنم، خاصة حينما تكون الفريسة أمه صاحبة منهج يهدد مصالحهم، ويقاوم أطماعهم ..

وفي مجلة الأمة يسجل أحد الباحثين مايلي:(أن الكنيسة تحفظ إحصاءات ودراسات دقيقة عن كل بلد في العالم من حيث عدد المسلمين وغير المسلمين والنصارى، وإمكانات الدعوة للتنصير فيهاوالظروف الاقتصادية والإجتماعية والسياسية وإلى أي مدى يمكن الإستفادة منها وتسخيرها لأهدافهم ،واحتياجات المجتمعات وكيفية ربطهم بالكنيسة وجعل علاقات دائمة معهم..

ففي الفلبين حيث دمر الجيش هناك مدينة (سوكو) التي هجرها من بقى فيها من الأحياء إذ ضربت برا وبحرا وجوا ، وعلى أنقاض تلك المدينة، جاء قس ليعيد بناء المدينة الإسلامية مستفيداً من الموارد المحلية فبنى ثلاثة ألاف بيت وملكها للمسلمين بأقساط لمدة ٢٥ سنة ، وبنى لهم مدرسة وكنيسة ومعنى هذا أن تتنصر المدينة كلها ،

مع أن رجلاً واحداً من أثرياء المسلمين، يمكنه بناء تلك المدينة ، حيث تقام المباني من الخشب هناك ، وهذا هو مجال عمل المنظمات والهيئات الإسلامية بدلاً من الهبات المتقطعة ، والبيانات السياسية التي تدين وتستنكر و تفتى أحيانا.)
والحديث عن التنصير ودوره في هذا الميدان كبير وضخم ويذخر بالإحصاءات والأرقام الخيالية ، لتنصير الفقراء المحتاجين، ومن العجب أنك تجد اليوم في أفريقيا كثيرا من النصارى ..وحينما تسأل أحدهم عن اسمه تجده يحمل اسماً نصرانيا إلا أن اسم جده مسلماً..إذ ينتسب لعمر أو أحمد أو أبو بكر ..أي أن أصوله إسلامية ، لكن التنصير استهدفه واستطاع أن يغير عقيدته ويسلخه من دينه..!
التقيتبأحد الدعاة الذين زاروا (السنغال)فأخبرني: أنه بينما كان في إحدى الرحلات الدعوية ، مر على قرية صغيرة نائية وبعيدة عن العاصمة دكار، ولكنه دهش مما وجده ورآه، لقد وجد هناك كنائس عديدة مبنية على أحدث طراز، وفي أكثر من مكان، والمدهش في ذلك.. أن القرية ليس بها غير نصراني واحد، وهذا ما أثار استغرابه ودفعه للسؤال عن ذلك ، فكانت الإجابة: إن هذه الكنائس إنما هي للجيل القادم.!
القوم يعملون بهمة ونشاط، وعلى خطط بعيدة المدى ، وأهداف مرسومة ومحددة، بل تجلت همتهم كذلك فيما أخبرني به الداعية القدير الأستاذ (الشامي نصحي) أثناء عمله في نيجيريا، وحينما كان في إحدى الرحلات التي قام بها إلى بعض الجزر البعيدة، التي لا يصل إليها أحد، وحينما نزلها وجد مجموعة من المنصرين بين مجموعة من الأطفال يقرؤونهم الإنجيل، وتعجب الرجل لهؤلاء.. كيف استطاعوا أن يصلوا لهذا المكان البعيد الذي لم يكن يدور بخلده أن يصلوا إليه.؟!
أما في الكاميرون فالمسلمون حينما يبنون مسجداً يأتي المنصرون بعده بشهر واحد.. ليبنوا كنيسة، وفي مجال طباعة الإنجيل حدثني د. (حسن على) مدير (دار طباعة مصحف أفريقيا) قبل وفاته رحمه الله بثلاث سنوات:أن المنصرين يوزعون ملايين الأناجيل وبلغاتٍ مختلفة ومتعددة..لقد تنوعت الأساليب التي استخدمها المنصرون كما أشرنا في التعليم والصحة والإعلام والسياسة والدين، لكن أهمها وأبرزها هو المجال الاجتماعي الذي اهتموا بتفعيله والنشاط فيه لا خدمة للإنسان أو لمساعدة الفقراء ولكن ليخدموا به أغراضهم،ومن أهم هذه الوسائل الإرساليات الطبية التنصيرية التي تستغل حاجة الأهالي الفقراء للدواء والعلاج..(وحتى عام ١٩٧٨م كانت هناك أربعين عيادة تنصيرية بين نيجيريا والنيجر ويرى أطباؤها أنفسهم منصرين في المقام الأول قبل أن يكونوا أطباءاً ويقول أحدهم: إن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجيين في المستشفيات أن نأتي بهم إلى المعرفة المنقذة ، معرفة ربنا يسوع المسيح ، وأن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية كما أنهم يتعمدون زيارة المريض في بيته لا إشفاقاً عليه وإنما ليكون تبشيره وعمله التنصيري بين أكبر عدد ممكن من أهله وذويه ، وهم يوهمون المرضى أن العلاج الحقيقي في التنصير قبل أن يكون في العلاج، وأنه قبل أن يكون في المستشفي فهو في الكنيسة..! وفي السودان فتح المنصرون مستوصفاًكانوا لا يعالجون المرضى حتى يعترف المريض بأن الشافي هو المسيح ، وفي إثيوبيا كانت

المعالجة لا تبدأ قبل أن يركع المريض ويسأل المسيح أن يشفيه، ولا زالوا إلى اليوم يعلنون في أكثر من بلد أفريقي عن العلاج المجاني للأمراض الشائعة بين الأفارقة قبل مجيء الطبيب بفترة كبيرة حتى يتجمع أكبر عدد ممكن ليتدخل القسيس معهم بعمله التنصيري.

وفي ميدان الإغاثة يقدمون الأطعمة والملابس والخيام وغير ذلك للمشردين والمحتاجين على أنها منح من المسيح ، وتتجاوز ميزانيات الهيئات التنصيرية في مجال الإغاثة ١٠٨ مليار دولار في العام الواحد ، في حين لا يبلغ معشار هذا المبلغ ميزانية كل المؤسسات الإسلامية العاملة، ويذهبون للمناطق البعيدة النائية والمليئة بالأحراش والحشرات الضارة والأمراض المعدية ويعيشون مع الفلاحين من غير أن يشعروهم بمهمتهم وبعد فترة يسيرة يتأثر بهم الأهالي ويتبعونهم فيما يريدون.)[١]

ومازالت هذه الحملات إلى اليوم تُعاني من عصاباتها الشعوب الفقيرة والمنكوبة في أفغانستان والعراق بعد احتلالهما من قبل أمريكا التي ثبتت أقدام المنصرين في كل مكان ، فنشطت حركتهم بصورة مخيفة؛ وانتقلت خطواتها من السر الى العلن توزِّع المنشورات والمطبوعات التنصيرية مع وجبة طعام وشربة ماء للجوعى والمتضررين ، وفي زلزال (تسونامي) الذي راح ضحيته أكثر من ٣٠٠ ألف شخص سارع المنصرون إلى المناطق المنكوبة، تحت غطاء تقديم المساعدات الإنسانية للمتضررين، وبدؤوا في نشر أفكارهم التكفيرية خاصةً بين الأطفال والأرامل.

ونقلت مجلة البيان شيئاً من جهود المنصرين المجتمعية التي تحقق أهدافهم:ففي منطقة (سيولو) في (كينيا) استطاع النصارى بناء ١٢ مدرسة وكنيسة ، ويشترطون على أبناء المسلمين الراغبين في الدراسة التنصر وإلا حُرموا من التعليم ، وقد تنصرت عشرات الأسر الفقيرة التي لا تستطيع دفع رسوم أبنائها الدراسية، ولا قيمة تغذيتهم وملابسهم التي تبلغ ١٤٠ دولار للفرد سنوياً ، وكان ذلك تحت إشراف منظمة (F . F . H) التي كانت تزعم في بداية تواجدها بأنها تعمل للإنسانية جمعاء ، وحين تعرفت على واقع المجتمع تنكرت لمنهجها السابق وأظهرت هويتها.

وفي بداية عام ١٩٩٩م تمكنت الكنيسة في دولة مالي من امتلاك أرض كبيرة فيالعاصمة باماكو، وأقامت كنيسة ومركز تنصيري ومكتبة عامة ، بـ ٦ ملايين دولار ، لتنصر كثير من أبناء المسلمين بما يقدمونه من مساعدات مادية في ظل احتياجات ماسة إلى الطعام والدواء والتعليم .

كما قامت الكنيسة في نيجيريا بتجهيز أربعة مواقع : ثلاثة منها لإيواء أبناء المسلمين الفقراء وخصوصاً المهاجرين (وهم طلبة الكتاتيب القرآنية التقليدية) ، ورابعها للمعاقين ، ويقدمون الطعام ثلاث مرات يومياً وتدعوهم إلى الدخول في النصرانية ، وقد تنصر عدد منهم ولبس الصليب ، وبخاصة الشباب ، ناهيك عن أعداد كبيرة تشككت في دينها .

يُحكى أن امرأة من المسلمين وتدعى (هند) قد أصيبت بمرض شديد وعجزت عن تكاليف العلاج البالغ مقدارها (٥٠٠ دولار) ، فقامت الكنيسة بتولي علاجها ،

---

[١] التبشير والاستعمار في البلاد العربية

فارتدت المرأة عن الإسلام وتنصرت ، فقام المنصرون بتوظيفها ، وزوجوها من أحد الأطباء ، ومنعوا الدعاة من اللقاء بها ، وعندما حاول أحدهم اللقاء بها ، نقلها المنصرون إلى مدينة أخرى خوفاً من أن تنجح محاولات الدعاة في الوصول إليها، وفي جمهورية (توجو) أقامت الكنيسة العديد من المراكز الصحية لعلاج الناس مجاناً أو بثمن زهيد ، واشترطت إدارتها على كل من يأتي للعلاج فيها بأن يشاهد قبل الكشف والعلاج فيلماً عن حياة المسيح لمدة لا تقل عن ساعة.[١]

ويروى لنا الدكتور (توفيق الواعي) ما ذكره صديقه الدكتور (الهواري) لدى زيارته لبلجيكا حيث قال: (بينما أنا في مدينة بروكسل في بلجيكا، إذ بي أجد قطارًا على الرصيف المقابل لنا قد احتشد فيه عدد كبير من الأطفال، وعلى الرصيف نفسه عدد من الرهبان يودعونهم، ولفت نظري هذا المنظر، وباستطلاع الأمر.. تبين أن هؤلاء الأطفال هم من أبناء عائلات إسلامية تعمل في شمال فرنسا في عدد من المعامل والمناجم في أوضاع معيشية سيئة ووضيعة، ويعانى أبناؤها نقصًا كبيرًا في التغذية والرعاية الصحية، وتنبهت لهذا الأمر جمعيات تبشيرية تعمل في فرنسا وبلجيكا، فاتصلت بهذه الأسر وأقنعتهم بضرورة إرسال أولادهم إلى بيوت نصرانية تستقبلهم وتعتنى بهم وبتغذيتهم وترفيههم خلال فترة الصيف، وبعد انقضاء فترة الصيف رجع الأولاد وفي أيديهم الحلوى ولذائذ الطعام وهؤلاء الرهبان يودعونهم عند رجوعهم لأهليهم، وقد اغرورقت عيون كثير من الأطفال أسفًا على فراق الطعام واللهو واللعب والإقامة المريحة، مُلوِّحين بأيديهم ومودعين لرهبان الجمعيات التبشيرية.

ثم يقول الدكتور: وقفت جانبًا مع صديق لي نبكى هذه الحالة التي وصل إليها المسلمون حتى أصبحوا لقمة سائغة وفريسة سهلة لكل من يتربص بهم الدوائر، فهؤلاء الأطفال المساكين مستعدون لتقبل أى أفكار بعد ذلك تملى عليهم من قِبَلِ هؤلاء المبشرين، وستتفاعل نفسياتهم بمقارنات شعورية، بين معيشتهم، وما كانوا عليه، وبين معاملة هؤلاء الناس ومعاملة المسلمين، وسيقوم العامل النفسي بدوره في بلورة أفكارهم وإثارة اهتماماتهم نحو النصرانية التي تنبهت إلى بؤسهم وقدمت لهم العون، وسيقوم القوم بإكمال الحلقة بالمحاورات والقصص والأحاديث العاطفية التي كانت تتلى عليهم خلال إقامتهم الطويلة في تلك البيوت المعدة لذلك.

وقد نشطت هذه الجمعيات في مجالات أخرى في ديار المسلمين، واستغلت الحروب لتحويل الأطفال إلى المراكز التبشيرية ..والسؤال الآن: أين الجمعيات الإسلامية؟ وأين رجال الدعوات؟ وأين المسلمون؟ وأين أموال الزكوات والخيرات؟ وهل نحن دعاة أم مدعوُّون؟، وهل نحن دعاة وهداة، أم جهلة وعصاة؟"[٢]

مجرمون في ماضيهم وحاضرهم..!

الغربيون يسِمُون الإسلام بالدموية، والمسلمين بالإرهاب،! وهنا نقول لهم: حنانيكم يا قوم.. أنسيتم ماضيكم المخزي وتاريخكم البشع؟! الذي يحاكيه حاضركم المؤلم؟

---

[١] أخبرني أحد أصدقائي أن ذلك حدث في بلدنا في مركز منوف محافظة المنوفية تحديدا مستشفى (هرمل) التي أنشأها ويشرف عليها النصارى والمبشرون.!

[٢] من مقال الطريق ليس من هنا للدكتور توفيق الواعي بموقع الحرية والعدالة

إن الحروب الصليبية..لم يشعل المسلمون أوارها، وإنما كان أجدادكم الصليبيون هم من تفجرت أطماعهم نحو الشرق، وتوالت أمدادهم الغاشمة من أوروبا تصحبها بركة الباباوات، وتحثهم على تصديع الشرق ومحو المسلمين واحتلال القدس..!
إن هذه الحروب سجل حافل بالجرائم والأهاويل.. أما حاضر القوم فإنهم ما تخلوا عن صليبيتهم ، فـ(اللمبي) ممثل الحلفاء، قال حينما دخل بيت المقدس: (اليوم انتهت الحروب الصليبية).
ومثله (غورو) حينما دخل دمشق، وعلى قبر صلاح الدين ردد قولته: (ها قد عدنا يا صلاح الدين)، وعلى دربهم سار الجزار الموتور (بوش)، ليعلن أن الحرب التي يخوضها على الإرهاب في أفغانستان والعراق حرباً صليبية، وبررها الإعلام الأمريكي بأنها زلة لسان، كما نطق بها وزير خارجيته (كولين باول) وصرح بـأنها حرب صليبية، ثم أعلنها (بيرلسكوني) صراحة.. بأنها حرب على الإسلام.. فالحضارة الغربية حسب قوله أعلى وأكثر تفوقًا من الإسلام، لأنه من وجهة نظره.. لا يلبى حقوق الإنسان والتعددية والديمقراطية.!
وما نحن بما حدث في (البوسنة والهرسك) من سفك الدماء، واغتصاب النساء، وقتل العزل الأبرياء ببعيد، فما قام هذا الهلاك إلا باسم الصليب..لقد أعدموا الأسرى ؟ذبحًا بالسكاكين، أو ضربًا بالمطرقة على الرأس، أو إغراقًا في الأنهار لتوفير الذخيرة، وبهذه الطريقة فضلاً عن قصف المباني السكنية والمدارس والمستشفيات، حتى استشهد ربع مليون مسلم بوسنوي بين عامي (١٩٩٣-١٩٩٥م).. أما النساء المسلمات فيستبقونهن على قيد الحياة لاغتصابهن!! فتم اغتصاب أكثر من ٢٥ ألف امرأة وفتاة حتى الأطفال اغتصبوهن بوحشية مفرطة.! وفي الشيشان وقعت آلاف من جرائم الاغتصاب الجماعي ضد المسلمات على أيدي الجنود الروس..
وأعدم الصهاينة عشرات الألوف من الأسرى المصريين في حربي ١٩٥٦م و١٩٦٧م بلا تحقيق أو محاكمات، وبعد تعذيب مروع سجلته تقارير المنظمات الدولية؟! هل حاسبهم أحد على إجرامهم؟.
(وأمام هذا الهدر الهائل لأروح البشرنجد أن إجمالي ضحايا كل الحروب التي وقعت في عهد النبي ﷺ، لم يتجاوز بضع مئات من الجانبين خلال عشر سنوات.. بينما سقط أكثر من ستين مليونًا من الأوروبيين، ضحايا حربين عالميتين، فضلاً عن ملايين القتلى بالأسلحة القذرة المحرمة دوليًا والتي استخدمها الأمريكان في اليابان وفيتنام والعراق وأفغانستان وغيرها..المسلمونلم يهدموا دور العبادة ولا المستشفيات ولا المدارس ولا المناطق السكنية، التي ضربتها الطائرات الأمريكية في العراق وأفغانستان، وجعلتها مقابر لعشرات الألوف من المسلمين.. وكذلك دمر الصرب ٣٦٠ مسجدًا في البوسنة، وقصفت إسرائيل المسجد الأقصى وهدمت أجزاءً من مبانيه ، وضربت مدرسة بحر البقر في مصر)[١]

أذاعت قناة ٢٤ الفرنسية حلقة لأحد برامجها تحت عنوان (أماكن محرجة يريد الفرنسيون نسيانها) فتخيل معي أيها القاريء الكريم ما هي هذه الأماكن التي تؤرق ذاكرة الفرنسيين؟!

---

[١] من مقال ما هو الجهاد؟ لحمدي شفيق

لقد كان منها حدائق صممت للحيوان ولكن الحيوان لم يسكنها، وإنما كان يقطنها أولائك البشر المساكين المقهورين الذين استجلبوهم أو خطفوهم من الدول التي استعمروها ، فعلت ذلك فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية المستعمرة..كانت الحدائق تمثل وصمة عار وصفحة سوداء في التاريخ الأوروبي ، فقد كانوا يقيمون ما يسمى بالمعارض الاستعمارية ، وخدعوا هؤلاء المساكين الضعفاء وأخبروهم أنهم سيمثلون فرنسا في المعارض الاستعمارية التي ستقام في هذه الحدائق ، ولكن كانت المفاجأة أنهم كانوا محور العرض والبضاعة التي ستقدم للجمهور الزائر، حيث عرضوا خلف الأسوار الحديدية على أنهم آكلي لحوم البشر .. وكان بعضهم يجبرون على الوقوف أمام الزوار عراة في البرد القارص حتى تسبب ذلك في موت المئات منهم وبعد انتهاء هذه المعارض الاستعمارية لم يكن في مقدور هؤلاء أن يعودوا إلى بلادهم بسلام، وكانت فرنسا تهدف من هذه المعارض أن تستعرض قوتها الاستعمارية وتتيح الفرصة للشعب الفرنسي أن يشاهد صورة طبق الأصل للبلاد والأراضي التي استعمروها واحتلوها ، حتى تظهر لشعبها تبريراً لاستعمار هذه البلدان ، وأنها همجية بدائية متدنية المستوى .

أما المفجع في الموضوع ، فهو أن هذه المعارض كانت تحظى بإقبال كبير من الزوار حيث كانوا يأتون إليها بمئات الألوف يومياً ، وكان لكل بلد أوروبي مستعمر قسم وخاص وجناح بالمعرض يعرض فيه استهتاره بالبشر وإهانته للإنسانية.

ولا شك أن الأجيال الحديثة تشعر بالخذي من تراث أجدادهم ، ومن هذه الصورة البشعة القاسية والانتهاكات التي ارتكبت بحق الإنسانية، ومع أصواتهم العالية التي تنادي بحقوق الإنسان اليوم، فإننا لايجب أن نغفل عن هذه الجرائم التي ارتكبها المستعمرون في حق الشعوب المقهورة التي استغلت بدائيتها وبساطتها لإشباع شهوتها ونهمتها ، أما الحكومة الفرنسية فكانت في حيرة من أمرها تجاه هذه الحديقة فهي ترغب في تجديد أحد المباني الموجودة فيها ليكون متحفاً ، وذلك كنوع من التخفيف من أثر الجريمة الإنسانية فهي لا تستطيع تدمير كل مبانيها، لأن ذلك قد يعرضها لتهمة أنها تحاول إخفاء ذلك الماضي الأسود ، كما أن التجديد الكامل قد يرمز إلى الغاية في إحياء رمز الجبروت والتسلط .
لقد ورث استعماريو فرنسا العار لأحفادهم فالكثير منهم اليوم يشعر بالحرج الشديد ويعتبرون هذه الحديقة الاستوائية في باريس وصمة عارف في التاريخ الفرنسي كله ، ومن أجل هذا ظلت مخفية لزمن كبير عن أعين الناس حتى أعيد افتتاحها منذ أعوام ، ولكنها ليست كالماضي في كثرة الزوار فالشعب الفرنسي لا يشعر بالارتياح حينما يتواجد في هذه الحدائق المشؤومة التي تذكره بماض أليم يحاول الفرار منه.
ولا تتعجب حينما تعلم أن أمريكا ربة الحضارة والحرية والمدنية وحقوق الإنسان..هي هي أمريكا صاحبة أبشع تاريخ دموي عرفه الإنسان..فحينما نزلت العصابات البيض أرض أمريكا ، وجدوا أراضيها خصبة فتية تحتاج إلى عشرات الملايين من الأيدي العاملة التي تعذر عليهم توفيرها من بني جنسهم.. ولكنهم فكروا في الهنود الحمر، سكان البلاد الأصليين، لماذا لا يستعبدونهم ويسخرونهم في إحياء هذه الأرض، حتى يجنوا هم خيرها وثرواتها؟.حاولوا ترويضهم ولكنهم فشلوا، ولم

يجدوا مناصًا من القضاء عليهم واستئصالهم، فنصبت المشانق، ووقعت المجازر والمذابح التي راح ضحيتها عشرات الملايين من الهنود الحمر، والتي قدرها بعض الباحثين بأكثر من ١١٢ مليون هندي أحمر..

ولم يتورع المجرمون البيض الذين نزعت الرحمة من قلوبهم أن يستخدموا كل الوسائل القذرة والمنحطة في القضاء على الهنود الحمر، فكانوا يسممون آبار المياه التي يشرب منها الهنود، وكانوا يحقنونهم بالفيروسات المميتة وجراثيم الأمراض الخبيثة كالطاعون والجدري ومسببات السرطان..وغير ذلك كثير من أفعال الإجرام.

وفي ظل هذه البشائع، يهرف أحد مؤرخيهم في محاولة ساخرة يُقلل بها من حجم هذه الأعداد، فيقول:إنها لم تتجاوز المليون.! وقد وبخه أحدهم بقوله :فرضًا لو أنها لم تتجاوز المليون.. فهل هذا الرقم هين في حياة الإنسان؟! هل من اليسير أن يباد مليونًا من البشر؟

يحكى المؤرخون الأوربيون المنصفون قصصًا يشيب لهولها الوِلدان، فقد كان الغزاة البيض يشعلون النار في أكواخ الهنود، ويقيمون الكمائن حولها، فإذا خرج الهنود من أكواخهم هاربين من الحريق، يحصد الرصاص رجالهم، بينما يتم القبض على الأطفال والنساء أحياء لاتخاذهم عبيدًا واغتصابهم جنسيًا أيضًا! وكتب أحد الهولنديين يقول :

(انتزع البيض بعض الأطفال الهنود الصغار من أحضان أمهاتهم وقطعوهم إربًا أمام أعينهن، ثم ألقيت الأشلاء في النيران المشتعلة أو النهر! وربطوا أطفالا آخرين على ألواح من الخشب ثم ذبحوهم كالحيوانات أمام أعين الأمهات !، إنه منظر ينفطر له الحجر.! – كما يقول الهولندي الراوي نفسه – كما ألقوا ببعض الصغار في النهر، وعندما حاول الآباء والأمهات إنقاذهم ،لم يسمح لهم الجنود بالوصول إلى شاطئ النهر، ودفعوا الجميع - صغارًا وكبارًا – بعيدًا عن الشاطئ ليغرقوا جميعًا!! والقليل جدًا من الهنود كان يمكنه الهرب، ولكن بعد أن يفقد يدًا أو قدمًا، أو يكون ممزق الأحشاء برصاص البيض.. هكذا كان الكل؛ إما ممزق الأوصال، أو مضروبًا بآله حادة، أو مشوهًا بدرجة لا يمكن تصور أسوأ منها)[1]

كما كان هناك قانون يقضي بأحقية الأمريكي في الحصول على مكافأة مجزية إذا قدم لأي مغفر شرطة بالولايات المتحدة فروة رأس هندي أحمر.. وخلال عشرين عامًا فقط..تم القضاء على هذا العرق، وبعضهم سيق بالقوة والسخرة للعمل في المزارع الكبيرة ومناجم الذهب التي قيل: إن اكتشافها كان وبالًا على الهنود الحمر، وكانوا يستعبدون أطفالهم ونساءهم، يبيعون الأطفال ويخطفون الفتيات للخدمة والاغتصاب، لقد قضوا على الملايين من الهنود الحمر، فأي وبال ونكسة أصابت هذه القارة، وأي لعنة مؤسفة نزلت بهؤلاء المساكين؟

إنه تاريخ أمريكا التي حينما تقترب من مينائها في نيويورك، يطالعك منها أول ما يطالعك، تمثال الحرية الشهير .. وكان الأجدى بهم لو صدقوا أنفسهم، أن يقيموا تمثالاً للقهر والجحيم يذكرهم بضحاياهم من الهنود الحمر، وأن يجعلوا يومًا مشهوداً

---

[1] منير الحمش - أمريكا والكنانيون الحمر - دراسة منشورة بمجلة أخبار الأدب - دمشق - ٢٠٠٢/٦/٩م - بتصرف

من كل عام ، يسمونه يوم العار، يبكون فيه وينتحبون ندمًا وحسرة على ما اقترفه أجدادهم المتوحشون في حق عِرق بشري لا جريرة له إلا أنه رفض استعبادهم.
وربما تأصَّلت العداوة بين الهنود الحمر، وبين المحتلين الأوروبيين فحدث ما حدث من إبادة منكرة.. فلعلهم واجهوا مقاومة شديدة فدافعوا عن أنفسهم..لكن ما هي أعذارهم فيما فعلوه من جرائم في حق الذنوج الأفارقة؟..إن المستعمرين القتلة اكتشفوا بعد القضاء على الهنود الحمر أن أمريكا لابد لها من عبيد يستصلحون أراضيها، فاتجهت أنظارهم إلى الزنوج الأفارقة، فأجسادهم قوية وبنيتهم فتية، تستطيع تحمل مشقة العمل والأجواء القاسية، ومن ثم تكالب المسعورون عليهم يأسرونهم بلا رحمة، وشرعت سفنهم على سواحل أفريقيا تحمل لصوص البشر ..ومن قبلهم تحمل الخراب والموت والضياع والقهر والاستعباد لأبناء القارة المسكينة.!
تقول المصادر الأوروبية ذاتها: أنه وخلال خمسين عامًا فقط، تم خطف وترحيل ما بين خمسة عشر إلى أربعين مليونًا من الأفارقة، وتم بيعهم كعبيد في أسواق أمريكا وأوروبا، و أن من بين كل عشرة أفارقة كان يتم أسر واحد فقط واستعباده، بينما يلقى التسعة الآخرون مصرعهم إما بالرصاص، أو التجويع والعطش، أو الانتحار وكثير منهم كان يلقى حتفه اختناقًا بسبب تكديس المئات منهم في أقبية السفن .
وكان مصير الأفارقة مشابها لمصير الهنود الحمر في عدد الضحايا.. إلا أنهم كانوا أوفر منهم حظًا، فالهنود أُبيدوا على مدار عشرين سنة، أما الأفارقة فقُتل منهم ما لا يقل عن مائة مليون في خمسين سنة.
وتذكر دائرة المعارف البريطانية: (أن الإنجليز كانوا يشعلون النيران في الأحراش والأشجار المحيطة بأكواخ الأفارقة، فيضطر هؤلاء المساكين إلى الخروج من مساكنهم هربًا من النيران، فيقتلهم القناصة ، ويأسرون الأطفال والنساء، ويرحلونهم إلى مراكز تجميع العبيد على الساحل الغربي الإفريقي تمهيدًا لنقلهم بالسفن في رحلة بلا عودة.!
إن القوم أسرفوا في سفك الدماء بكل حقد وغل، وكأنهم يحاربون وحوشاً مفترسة أو كائنات عدوانية نزلت عليهم من الفضاء ، تريد القضاء على بني الإنسان..إن أحدنا لا يطيق أن يرى بعينه دجاجة تذبح، فما بال هؤلاء يتفننون في سلخ البشر وذبحهم؟!كيف كانت أشكالهم وكيف كانت طبائعهم؟!
إننا بلاشك أمام أناس لا دين لهم ولا ضمير، أما قلوبهم فلا تعرف رحمة أو شفقة، وكأنما قدت من جحيم ملعون.. ولم يكن من المقرر سلب حياة المستضعفين وحريتهم فقط، وإنما سلخهم من أديانهم ومعتقداتهم، فقد كان يصاحب كل سفينة قسيس يقوم بتنصير العبيد..وهكذا يسلبون الضحايا حريتهم ودينهم!
أما القوانين التي كانت تحكم حياة هؤلاء الزنوج في أمريكا فكانت في غاية الشدة والقسوة، وكان مقتضى القانون الأسود: أن الحر إذا تزوج بأمة صار غير جدير بأن يشغل وظيفة في المستعمرات، وكانت القوانين تصرح بأن للسيد كل حق على عبده حتى حق الاستحياء والقتل.

و(كان يجوز للمالك رهن عبده وإجارته والمقامرة عليه وبيعه كأنه بهيمة، وكان لايحق للأسود أن يخرج من الحقل ويطوف بشوارع المدن إلا بتصريح قانوني، ولكن إذا اجتمع في شارع واحد أكثر من سبعة من الأرقاء ولو بتصريح قانوني كان لأي أبيض إلقاء القبض عليهم وجلدهم)[١]

هذه لمحة يسيرة من تاريخ الغرب و أمريكا رائدة الحضارة والحرية وحقوق الإنسان.. لمحة من تاريخهم القديم الأليم ..وما تاريخها الحديث ببعيد عما ذكرنا .. فالجرائم تتوالى والعدوان يتصاعد، والشعوب المستضعفة تشهد على أيديهم ويلات وآلام.

أما فرنسا وما أدراك ما فرنسا فقد طالعتنا الأنباء باعتراف الرئيس الفرنسي (فرانسوا هولاند)، أثناء زيارته للجزائر ٢٠١٤م بأن استعمار فرنسا للجزائر كان وحشياً وظالما، وقال أمام البرلمان الجزائري : أعترف هنا بالمعاناة التي تسبب فيها الاستعمار للشعب الجزائري، ذاكرا أحداث (سطيف وقالمة وخراطة) التي تبقى راسخة في ذاكرة الجزائريين وضميرهم، وأضاف: على مدى ١٣٢ عاماً تعرضت الجزائر لنظام وحشي وظالم هو الاستعمار، وأعترف بالمعاناة التي سببها.

لقد دمرت فرنسا في مايو سنة ١٩٤٥ إحدى وأربعين قرية في الجزائر ، على من فيها من الأطفال والنساء ، والشيوخ والشباب حسب ما أفادت المضبطة الرسمية لمجلس النواب الفرنسي

وكتبت صحيفة كومبا الفرنسية عن هذه المذبحة تقول : في إحدى المدن بينما طفل عربى لا يتجاوز العاشرة ، يقطف زهورا بالحديقة العمومية ، إذا بيوزباشى يطلق عليه عيارا ناريا ، فيرديه صريعا

قال مندوب جريدة ليبرتى بعد المذبحة ما يأتى : " إننا الآن بهليوبوليس قرب مدينة قالمة ولقد مضى على الجثث الملقاة على قارعة الطريق أكثر من خمسة أيام ، دون أن يهتم أولوا الأمر بدفنها وذلك تفننا في إلقاء الرعب في قلوب الوطنيين ، الذين لم يزدهم هذا العمل إلا كراهية لنا وبغضا..لقد رأينا في أحد المناظر رضيعاً ملوثا بالدماء ، يبحث عن ثدي أمه المقطوعة الرأس ، دون أن يهتدى المسكين إلى الثدي ، ودون أن تستجيب الفريسة لصراخ ابنها ..

ولعل العالم الطبيعي (كاترفاج) قد وضع يده على ما نريد أن يعلمه الغرب دوماً ويتذكره ، خاصة في نظرته للإسلام وشعوبه، ومحاولات الإفك التي يروج لها في إعلامه من وسم المسلمين بالدموية والإرهاب ، يقول (كاترفاج): إنه لا يجوز للعرق الأبيض الأوروبي أن يلوم أكثر الشعوب توحشاً من انتهاك حياة الإنسان..فليراجع ذلك العرق تاريخه، وليتذكروا الحروب والوقائع التي كتبها بحروف من دم، وليتذكر ما صنع بإخوانه المتأخرين عنه وما أسفرت عنه خطواته من الدمار !!

وليتذكر اصطياده للإنسان كما يصطاد الوحوش الضارية..وليتذكر استئصاله أمما بأسرها ليفسح لمستعمريه المجال ..وليعترف بأن حياة الإنسان إذا كانت مقدسة ، فإنه لم يرو أن شعباً انتهك حرمتها بفظاعة مثله..

---

[١] عايدة العزب موسى - العبودية في أفريقيا - بتصرف

وبعد كل هذه المهازل يقولون :إن الإسلام دين الإرهاب والمسلمين دمويون..! ، والناظر لهذه الدعاوى بعد ما كتبنا من تاريخهم الأسود لا يسعه إلا أن يضحك ساخراً ، مما يرى أمامه من الهطل أو الجنون الذي يلغون فيه..

أعداء البشر !

تتسابق الأديان والمذاهب لتثبت كل منها أنها أجدر بالإنسانية وأنفع للإنسان من غيرها ، ويعرض كل مذهب ما لديه من أدبيات وشواهد ، يحاول المدعون بها أن يبرهنوا عن عظمة مذاهبهم ونحلتهم التي تكرم البشر وتحمل الخير للعالم ..ولكن.. لا تلبث الأيام إلا وتكشف لنا عن حقيقة هذه الدعاوى صادقة هي أم كاذبة؟!

لكنك تتعجب حينما ترى دينا يحمل الشر والحقد للبشر، ويعد هلاك الإنسان وهدر دمه قربة عظيمة يتقرب بها إلى الله ، كما يملي على أصحابه أنهم جنس أعلى من جنس الناس، ورتبة أقدس منهم .. لا تحسبن اليهود يا أخي بشرا كالبشر.. يبحثون عن سعادة العالم، ويحبون أن يعيشوا هانئين مطمئنين يبرون الناس ويحسنون إليهم ؟! لا ..فهم وبال على الإنسانية، ومصدر عداء لمن حولهم ..تشبعوا بالعنصرية والأنانية، فلا يرون إلا أنفسهم في صفحة الحياة ، وأجدر الناس بحق العيش على البسيطة.

تنطق بذلك كتبهم وأسفارهم ، وهي الثقافة التي نشأوا وتربوا عليها ، وإذا تأملت نصوصهم وموروثاتهم التي يغص بها التلمود والتوراة لعرفت من أين جاء الشر إلى هذا العالم..!!

ومما لديهم:

* تذكروا أن الشعب الذي لا يهلك غيره يهلك نفسه.

*علينا أن نشعل حربا بين الشعوب ونضرب الدول بعضها ببعض فبهذا يصبح جميع المتحاربين في حاجة إلى أموالنا فنفرض عليهم شروطنا.

*الجماهير عمياء.. فاشتروها بالمال وسوقوها كالبهائم إلى أهدافكم.

*ادفعوا الجماهير العمياء إلى الثورة وسلموهم مقاليد الحكم ليحكموا في غوغائية وغباء وحينئذ نأتي نحن ونعدمهم فنكون منقذين للعالم.

* الذي يعرقل مؤامراتكم أوقعوه بالفضائح ثم هددوه بكشفها ، أو أوقعوه بمأزق مالي ثم أنقذوه منه ، وإذا تعذر الأمر اغتالوه ، ثم اقتلوا قاتله لتدفن أسرارنا معه .

* اقتلوا القوميات والوطنيات بالدعوة إلى الأممية والمواطنة العالمية.

* كل ما عدا اليهود حيوانات ناطقة سخرها الله في خدمة اليهود..!

ويقول التلمود: اقتل الصالح من غير الإسرائيليين.

ويقول: يحل بقر الأممي كما تبقر بطون الأسماك..ثم يقرر (الثواب) على ذلك الإجرام بأن من يقتل أجنبيا - أي غير يهودي - يكافأ بالخلود في الفردوس والإقامة في قصر الرابع.

ولقد طرق القرآن الكريم بإنذاره المدوي ووصف هؤلاء الأشرار المجرمين وبين حقيقتهم وما يحملونه من خصومة عتية لله والإنسان !لقد غضب الله عليهم ولعنهم فقال تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ

وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ) (المائدة :٦٠)
كما قتلوا أنبياء الله،ونقضوا العهود والمواثيق، وأكلوا الربا وأفسدوا في الأرض وأشعلوا الحروب..وتكبروا في الأرض حسب ما أفاد القرآن الكريم
ثم تأتينا الفطيرة المقدسة وما أدراك ما الفطيرة المقدسة.. وهي خلط الدقيق بالدم البشري الذي يعدون منه فطائرهم لعيد الفصح، ولتحصيل هذه الدماء ..لابد من قتل النساء والأطفال والرجال من غير جنسهم..! وفي محاريبهم ومعابدهم، يصيبك الفزع مما ترى ، وهي المراكز التي تقع بداخلها جرائم القرابين البشرية، لقد استشرى خطر هذه الجرائم في زمن من الأزمنة، واستفحل أمرها حتى صارت تمثل ظاهرة أطلق عليها اسم الذبائح ، وفي أعيادهم المقدسة لا تتم الفرحة فيها إلا بتقديم القرابين البشرية، وتناول الفطيرة المقدسة الممزوجة بدم البشر..فيؤخذ دم الضحية بعد ذبحها فتسيل منها الدماء وتوضع في وعاء يسلم للحاخام الذي يقوم بإعداد الفطيرة المذكورة.!
حتى في الزواج ..يصوم الزوجان من المساء عن كل شيء، حتى يقدم لهم الحاخام بيضة مسلوقة ومغموسة في رماد مشرب بدم إنسان، وفي مناسبات الختان يغمس الحاخام إصبعه في كأس مملوءة بالخمر الممزوج بالدم، ثم يدخله في فم الطفل مرتين وهو يقول للطفل: إن حياتك بدمك..
كما اعترف أحد كتابهم وهو البروفسور الايطالي اليهودي (ارئييلطوئيف) مؤلف كتاب (فصيح الدم)، فأكد من خلال مقابله مع صحيفة (هاآرتس) ..على أن فطيرة الدم التي تصنع في عيد الفصح والتي يمارسها الاشكناز الإسرائيليين تضرب العقيدة اليهودية في العمق ...وانه ألف الكتاب لأنه لايستطيع السكوت عن العامل الغير أخلاقي في هذه القصة ..وأورد عدة أمثله عن الجرائم التي حدثت في أوروبا لاستخدام دماء المسيحيين ..؟ وقام بالتفسير حتى عن أن الدم يجب أن يكون لطفل لم يبلغ العاشرة..وإذا تم تحصيل الدم من قسيس مسيحي فستعتبر عندها الفطيرة من قمة المقدسات.
وهذه العنصرية البغيضة ضد بني الإنسان لم يقم بها اليهود وحدهم، وإنما في أمريكا التي تطنطن بكرامة الإنسان وحقوقه ، تأتي صفحة أخرى من محنة الإنسان ،كنا نظنها ماض وانتهى ولكنها تتجدد مع الأيام، حيث اشتعلت مؤخراً في التيمور بولاية (ميرلاند) الأمريكية، الاضطرابات بين الشرطة الأمريكية وجماهير كبيرة من الزنوج خرجوا يحتجون على التمييز العنصري الذي يعانون منه والذي يصل لحد الاضطهاد.. بعد صدور قرار هيئة المحلفين العليا الأمريكية بعدم توجيه اتهام إلى ضابط شرطة أبيض قتل بالرصاص فتى أسود يدعى (مايكل براون) في أغسطس ٢٠١٤م، ليفجر مجدداً تساؤلاً حول أسطورة انتهاء التمييز العنصري بين البيض والسود في أمريكا.
ونزل آلاف الأمريكيين إلى الشوارع في جميع أنحاء الولايات المتحدة من سياتل إلى نيويورك مروراً بشيكاغو ولوس انجلوس وطالب الرئيس الأمريكي (باراك أوباما) بتهدئة الأوضاع، ودعا الجموع للاحتجاج بطرق سلمية،ولكن الأمور زادت توتراً

حين قتلت الشرطة الأمريكية طفلاً أسود يبلغ من العمر ١٢ عاماً، بولاية "كليفلاند"، بعد اشتباهها بحمله سلاحاً تبين فيما بعد أنه مسدس لعبة ..لم يكن (براون) هو الضحية الأولى لعنف الشرطة الأمريكية، فقد سبقه وتلاه الكثير من الأمريكان الأفارقة.

المشكلة إذن ما زالت لها جذور وتتطور عبر الأيام والأزمان ، ومازال الموقف من السود سلبيا لدى البيض..ويحكي لنا المغفور له الدكتور (مصطفي السباعي) بعضا من المظاهر المتنوعة في اضطهاد الزنوج التي كانت في أمريكا قبل هذه الأحداث بعشرات السنين فيقول:

(في الميدان الثقافي: لم يكن يسمح في عشرين ولاية من الولايات الأمريكية للزنوج أن يتعلموا في مدرسة واحدة مع البيض! وفي ولاية «فلوريدا» تقضي قوانينها بأن تفصل الكتب المدرسية الخاصة بالطلاب الزنوج في معزل عن الكتب الخاصة بالطلاب البيض!وفي ميدان الزواج: يمتنع في كل الولايات تقريبًا زواج بيضاء بزنجي أو أبيض بزنجية، وفي ميدان العمل: تقضي قوانين بعض الولايات بأنه لا يسمح للعمال الزنوج أن يقيموا مع العمال البيض على صعيد واحد في المصانع، ولا يجوز للزنوج أن يدخلوا أو يخرجوا من الأبواب عينها التي يدخل منها البيض ويخرجون!وفي ميدان الشؤون الاجتماعية: تقضي قوانين أربع عشرة ولاية بعزل الركاب البيض في القطارات الحديدية عن السود، وتفرض إقامة عربات خاصة للسود في القطارات، والأوتوبيس، وغرف الهاتف، وفي المستشفيات، حتى في مستشفيات الأمراض العقلية يفرق بين المجنون الأبيض والمجنون الأسود!

وكذلك في الكنائس.. فقد دخل زنجي من جمهورية بناما كنيسة كاثوليكية في واشنطن، وفيما هو مستغرق في صلاته، سعى إليه أحد القسس، وقدم إليه قصاصة من ورق قد كتب فيها عنوان كنيسة زنجية كاثوليكية، وحين سئل القس عن سر هذا التصرف أجاب: إن في المدينة كنائس خاصة بالكاثوليك الزنوج، يستطيع هذا المرء أن يقف فيها بين يدي ربه! هذا وهم الذين يبشرون بأن السيد المسيح كان للإنسانية كلها.

ثم تأمل هذا العجب العجاب من طائفة (المورون) التي انشقت عن المسيحية وأسسها في القرن التاسع عشر قس يدعى (جوزيف سميث).. وتقرأ في كتابهم المقدس الذي يدعي جوزيف أنه تلقاه عام١٨٢٧ من ملَك يدعى موروني نهض من موته ليسلمه إليه،فتنصدم بما جاء فيه من عنصرية صارخة وتمييز فج حيث يقول: (والجلد الأسود لعنة من الله ودليل على الخطيئة، وكلما أصبح الإنسان صالحا خف لون جلده حتى يصبح أبيض تماما) ولا ينتمي لهذه الديانة إلا البيض ، وهم يحبون (مايكل جاكسون) لأنه - في تصورهم - انتقل بأعماله الصالحة (وليس ببراعة أطباء التجميل) من اللون الأسود الى اللون الأبيض.!

ويذكر العلامة الدكتور (أحمد الشرباصي) في كتابه (نافذة على الإسلام) قصة عجيبة يحار لها العقلاء ،ففي أمريكا كان هناك شاب وسيم أحب فتاة أجنبية ، فتزوجها تحت سمع الكنيسة وبصرها ولكن قانون الولاية المتمدنة المتحررة يمنع الزنجي من التزوج بفتاة بيضاء ، وهناك من ادعى أن هذا الشاب من سلالة الزنوج ،

لذلك يستحق العقاب الصارم وفعلا قبض على الزوج المسكين فإذا بهم أمام رجل أبيض اللون ، ولكن المنافس زعم أن في دمه من دماء الزنوج ما يساوي نسبة ٨% ، وهي النسبة التي تجعل القانون يحرم زواجه من تلك الأمريكية البيضاء ..وأحال القاضي ذلك المتهم إلى علماء التناسل الأحرار! وبعد بحوث وتجارب قرروا أن في دم ذلك الزوج ما يزيد فعلاً عن نسبة ٨% من دماء الزنوج السود وقد تحدرت إليه النسبة من أحد أجداده السود القدماء ، فأصدر القاضي حكمه بسجن الزوج ٥ سنوات ، لا لذنب جناه أو سوء أتاه ، إلا أنه خلق من سلالة قوم سمر الالوان وجرؤ على أن يتزوج من فتاة بيضاء تحبه وتهواه ، وما كادت الزوجة تسمع الحكم حتى خاطبت زوجها قائلة : إن خمس سنوات ليست بالمدة الطويلة أيها الزوج العزيز، وسأنتظرك وفية مخلصة حتى تخرج من السجن سالماً ..وسنسافر إلى مكان آخر لا يفرق بين البيض والسود .

أرأيتم السفاهة في التفكير والضلالة في الرأي والتعصب للون ، والافتخار الكاذب بالجنس والدم ؟! وممن يقولون أنهم أرباب الأخوة الإنسانية والمساواة العالمية والحرية البشرية ، فأين هذا الضلال وهذا التناقض من سمو الإسلام وتكريمه لبني الإنسان ، وتسويته الحقة بين الناس أجمعين؟!

وفي عام ١٩٤٦م في مدينة كولومبيا قصد زنجي وأمه إلى محل لإصلاح أجهزة الراديو خاص بهما ، وبعد أن دفعا الأجرة المطلوبة تبين لهما بأن الجهاز لا يزال على حاله لم يصلح فيه شيء فقالت الأم الزنجية : ثلاثة عشر دولار والراديو لا يزال أخرس ؟

فأمر صاحب المحل بطردهما ، ورفس أحد المستخدمين الأم برجله فخرت على وجهها ، فغضب الزنجي لأمه وضرب المعتدى عليها فأهوى به إلى الأرض ، فما كان من جاره إلا أن صرخ في الجماهير : أقتلوا ابن الفاعلة! وتجمهرت الجماهير وأخذت تنادى : فلنقتص منهما!

والاقتصاص من الزنوج عند الأمريكان فصل رؤوسهم عن أجسادهم فورا بدون محاكمة ولا عقوبة!

وأخيرا أنقذا من بين يدي الجماهير وسيقا إلى السجن فلم يرض الجمهور ذلك بل هرع إلى حي الزنوج ليقتص من الزنجية وولدها ، وحاصرت الشرطة الحي المنكود ، وطورد الزنوج المساكين في بيوتهم ومحلاتهم فنهبت وأحرقت وأطلق الرصاص على أولئك المساكين فوقع كثير منهم بين قتيل وجريح .

هذا كله لأن زنجية شكت إلى صاحب محل أنها دفعت أجرة إصلاح الراديو من غير أن تستفيد شيئا، وهذا مثَل من حضارتهم!

هذه هي أخبارهم وهذا هو تاريخنا..يطل منذ أربعة عشر قرنا بأرقى مما وصلت إليه حضارة اليوم وأسمى مما يدعيه كذبتها..الذين نجحوا في الادعاء وفشلوا في التطبيق ، أما ديننا فقد وحد بين الأجناس وأقام المساواة على أرض الواقع ، وأعلن القرآن الكريم عن مؤهلات التفاضل والتمييز فقال تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)كما أعلنها الرسول ﷺ : (لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا